اسم الدرس : سورة المجادلة 3 | الآيات من 14 إلى ختام السورة

تصنيف الدرس : من دورة بصائر 3

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

بسم الله، والصّلاة والسّلام على رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، نستكمل بإذن الله -عزّ وجل- سويًّا ما بدأناه من وقفات مع سورة المجَادَلة أو المجادِلة.

هذه السورة العظيمة، التي تكلّمنا في المرتين الماضيتين عن كيف أن الله -عزّ وجل- يُربّي هذه المجموعة المؤمنة التي تنشأ في مدينة النّبي -صلّى الله عليه وسلّم-، ويُريد الله -عزّ وجل- لهذه المجموعة أن تنشأ على عينه، اختار الله -عزّ وجل- لها صفات تنشأ عليها.

ومن أهم هذه الصّفات التي زرعَتها سورة المجادِلة في هؤلاء المؤمنين:

صفة المُراقبة لله -سبحانه وتعالى-، واستشعار أنَّ الله -عزّ وجل- معنا في كلّ وقت، في كلّ مكان، في كلّ حين، بعِلمه وهو مُسْتَوٍ على عرشه -سبحانه وتعالى-.

لذلك شعار السورة الأول: "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ"

فنحن نريد أن نخرج من السورة بشعارات قرآنيَّة، منها: "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ".

أيّ كلمة في هذا الوجود، أيّ صوت في هذا الوجود، أيّ همس، أي مناجاة، أي نجوى، أي سر، أي حزن، أي همّ يَعلمه الله -سبحانه وتعالى-.

هذه الأخلاق حينما تستقر في قلوب المؤمنين، ينشأ المؤمن يُراقب المولى -سبحانه وتعالى-، يُراقب نظره -سبحانه وتعالى-، يخاف منه، يُراعي أوامره، ويبتعد عن نواهيه.

تكلمنا في المرتين الماضيتين عن قضايا معينة، وكما قلنا هذا ليس تفسيرًا تحليليًا لكل آية، فالتفسير التحليلي يحتاج إلى وقت أطول، وبفضل الله يوجد الكثير من التفاسير قامت بهذا الدور، ولكن نحن نأخذ وقفات من الآيات، نُريد أن نخرج من السورة بمواضيع مُعيّنة.

تكلّمنا في **الدّرس الأوّل** عن:

- معية الله -عز وجل- للمجموعة المؤمنة
- وتكلمنا عن أهميّة المصطلحات
- وتكلّمنا قبلها عن موضع وموقع سورة المجادِلة ضِمن ترتيب سور القرآن، وفي بداية الجزء الثامن والعشرين

- وتكلّمنا عن مواضيع هذا الجزء
- تكلّمنا عن قضيّة الحدود التي وضعها الله –عزّ وجل–، وخطورة المحادّة لله –عز وجل–، ومعنى المحادّة، هل هم الذين يضعون حدودًا غير حدود الله أم هم الذين يقفون في الحدِّ المقابل لشريعته –سبحانه وتعالى؟

وتكلّمنا في **المرّة الماضية** عن :

- قضيّة العلاقات الاجتماعية
- والتّناجي
- والتّفسُّح في المجتمع
- والصّدقة قبل الفتوى
- والتّصوُّر الخاطئ عن العُقوبة الفوريّة

هذه الموضوعات تكلّمنا عنها في الدرس الثاني.

الدرس الثالث بإذن الله عزّ وجل يبدأ مِن قَوْله –سبحانه وتعالى–:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوايَعْمَلُونَ) (المجادلة:١٤، ١٥).

هذه الآيات تعجيب من صِنف موجود في المجتمع لا يخفى على الله –سبحانه وتعالى–، هو يظن أنه يستطيع التّخفّي. كما كان يَتخفّى على بعض المؤمنين؛ يظُن أنه يستطيع التّخفّي على الله، هذا الصّنف هو **صنف المنافقين**.

قضية الهزيمة النفسية وكيف عالجها الله عزّ وجل

صنف المنافقين تمّت الإشارة إليه قبل ذلك، فاليهود كانوا يَتناجون مع المنافقين؛ وكان ذلك يُشعر أهل الإيمان بوجود حرب أو وجود خوف أو فزع؛ فكان أهل الإيمان يَخافون.

فكان المؤمن في بداية نشأة دولة النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– في المدينة، عندما كان يرى اليهودي جالس مع شخص فيه شُبهة نفاق؛ ككونه ليس حريصًا على مجالس النّبي –صلّى الله عليه وسلّم–، ليس حريصا على صلاة الفجر في جماعة، ليس حريصا على صلاة العشاء، ليس حريصا على الجهاد؛ فيكون هناك شكّ مُعيّن فيه... مع قُربه من اليهود، و اتّصاله معهم؛ كثرة جلوسه معهم. فكان المؤمن يَرتاب في هذا الشخص، وكان حينما يرى اليهودي يجلس مع هذا الشخص الذي يرتاب فيه، كان يخاف من ترتيب مُعيّن يرتب ضد المؤمنين.

فأخبر الله –عزّ وجل– أنَّ هذا **من الشيطان**؛ "ليَحزُن الذين آمنوا" وهذه هي **قضيّة الهزيمة النّفسيَّة** التي يلعب عليها دائمًا أعداء الله –سبحانه وتعالى–، وأنّ المؤمن لابُدّ أن يكون مُتّصلًا بالله، مُتوكّلًا على الله –سبحانه وتعالى.

معايير الولاء والبراء عند المؤمن

فيُعجِّب الله –عزّ وجل– أهل الإيمان من هؤلاء..

"أَلَمْ تَرَ" ؟ تعجيب..!

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا) [المجادلة:١٤]

هذا صنف داخل صفوف المؤمنين، يدّعي أنه مؤمن، يتسمّى بأسماء أهل الإيمان، يتزيَّا بزيّ أهل الإيمان، يجلس وسط المؤمنين، وبالرّغم من ذلك يذهب إلى قومٍ آخرين يتولَّاهم.

حينما ذهب إلى قوم آخرين يتولاهم، هل ذهب إلى قوم –مثلًا– يظُنّ أنهم أقرب إلى الله؟!

لماذا اختار هؤلاء القوم ليتولاهم؟

العجيب أن الله –سبحانه وتعالى– يقول: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم) [المجادلة:١٤]

سبحان الله، اختار أن يتولّى قومًا وصفهم الله –عزّ وجل– بأنّهم مغضوب عليهم.

تخيّل عندما يحب إنسان أناسا مغضوب عليهم!

القضيّة هنا قضيّة: ما هي المعايير التي على أساسها يختار الإنسان مَن يتولَّاه ومَن يُعاديه؟

وهذا هو آخر جزء من سورة المجادَلة، فهي تركّز على((**قضيّة الولاء والبراء**))

مَن يُوالي الإنسان ومَن يُعادي؟ من يُحب ومن يُبغض؟

كما قال النّبي-صلّى الله عليه وسلّم-:

"مَن أَحَبَّ للهِ، وأَبْغَض للهِ، وأَعْطَى للهِ، ومنع للهِ، فقد استكمل عُرى الإيمانَ"[1]

إن الإنسان مشاعره ليست بالهوى، ليست بالمصالح الشّخصية، ليست بالمنافع الدّنيويّة؛

لكن يجب أن تكون مبنيّة على **معايير يرضاها الله-سبحانه وتعالى-**

أو بتعبير القرآن: مبنيّة على الحدود التي وضعها الله -عزّ وجل-، لا نضع حدودًا غيرها.

تخيّل واحدًا يختار قومًا (مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ)

يعني ليسوا من المسلمين، ليسوا حتى منهم نَسَبًا، ولا عشيرةً

هو اختار هؤلاء لصفة دنيويَّة بحتة، بالرغم أن هؤلاء الناس (غَضِب الله عليهم) !

أحيانًا، يقول لك أحدهم: أنا أحب الشخص الفُلاني، أو أشجع الفريق الفُلاني،..

وهؤلاء الناس هم بتَعبير القرآن وبِوصف القرآن (غَضِب الله عليهم).

شخص كافر، شخص مثلًا يُنفق أموالًا لدعم اليهود ضد المسلمين؛ يهدمون المسجد الأقصى،..

كيف تتولّى هذا الشخص؟! كيف تُحبُّه؟!

كيف تلقى الله -عزّ وجل-؟

كيف تعيش هنا وقلبك هناك؟

كيف تعيش بين المؤمنين وقلبك مع غير المؤمنين، مع الكافرين؟! كيف؟!

كيف تلقى الله -سبحانه وتعالى- والله-عزّ وجل- يطّلع على قلبك، فيرى فيه حُبًّا لغير أهل الإيمان؟!

القضيّة هنا كيف تُحبُّ مَن غَضب الله عليه؟!

ألا تخشى من هذا الغضب؟

هذه الكلمة كلمة مُرْعِبَة!

[1] [عن معاذ بن أنس الجهني:]" من أعطى للهِ، ومنع للهِ، وأحبَّ للهِ، وأبغض للهِ، وأنكح للهِ، فقد استكمل إيمانَه" المنذري (٦٥٦ هـ)، الترغيب والترهيب ٨٥/٤ • [إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربها] • أخرجه الترمذي (٢٥٢١)، وأحمد (١٥٦١٧)

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم)

كيف يتولّى قومًا غضب الله عليهم، ثم يقف في الصّلاة ويقول: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) [الفاتحة:7,6]

هو يقول لربه في الصلاة:

يا ربّ أنا لا أريد أن أسلك سبيل المغضوب عليهم وهم اليهود، ولا الضّالين ولا النّصارى

ثم يتولّى اليهود، ثم يحدث تطبيع مع اليهود، كما هو الاتجاه العالمي الآن في أغلب الدّوَل العربيّة؛ التطبيع مع اليهود؛ وكسْر الحاجز النّفسي لكلِمة بُغْض إسرائيل..

بُغض كلمة إسرائيل، بُغض دولة إسرائيل المحتلّة، التي احتلّت أرضنا في فلسطين..

فالآن يحدث تطبيع لنستسيغ العلاقات بين اليهود والمسلمين، نستسيغ هذه العلاقات،

والذي يسعى إلى ذلك أولًا هم المنافقون.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم)

كلّما سمِعت عن علاقات تطبيع، كَسْر الحاجز النّفسي مع إسرائيل المحتلة، تخيّل واقرأ هذه الآيات، وعايش هذه الآيات، وإيّاك أن تكون ممن تَصْدُق عليهم هذه الآيات.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ) [المجادلة:١٤]

لكن الدّافع هو دافع دنيوي.

ثم بعد أن يذهب إليهم، يأتي ويحلف بالكذب: (وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ)

يقسم أنه ما فعل ذلك إلا لمصلحة الدين، ومصلحة المسلمين، وأنه لم يفعل ذلك لمصلحة شخصية،

(وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

يعلمون أنّهم كاذبون.

هؤلاء، (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا)

فكما كان يفعل ذلك لمصلحة دنيوية، فإنه يُعاقَب يوم القيامة بالعذاب، والعياذ بالله.

(أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [المجادلة:15]

أسوأ شيء أن يقارب الإنسان بين المؤمنين وبين أعداء الله

أسوأ شيء يفعله الإنسان كَسر الحواجز بين المؤمنين وبين الكافرين،

أن تَسْقُط الحواجز، ولا يفرق بينهم بكلمة مؤمن وكافر.

أصبحت التقسيمات ليست على الإيمان وعلى الكفر؛ أصبحت التّقسيمات على أشياء دنيويّة،

فأسوأ شيء يفعله الإنسان كسر هذه الحواجز، نزْع الحدود التي وضعها الله.

قُلنا أن الحدود مذكورة مرتين في السورة، فجاء لفظ (يحادون)، في أول السورة وفي آخرها:

(إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) :

-في الموضع الأول (كبتوا)

-وفي آخر السورة، كما سيأتي: (أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ)

ومعنى (يحادون) كما ذكر الإمام الطبري: وضْع حدود غير التي وضعها الله.

فتخيَّل لما تُنزع الحدود بين اليهود وبين المؤمنين، هذا أسوأ ما يفعله الإنسان!

كما ذكر بعض المفسّرين أنّ الإنسان حينما يُوالي في الله ويُعادي في الله

هذا **أعلى شيء في الإخلاص..!**

الإخلاص ليس فقط أن تعبد الله في مكان لا يراك فيه النّاس،

لكن الإخلاص أن يكون قلبك خالصًا له -سبحانه وتعالى-.

كيف يكون القلب خالصًا لله وهو يُحبُّ أعداءه؟!

كيف تلقى الله -عزّ وجل- وأنت تُحبُّ من يسبّون الله، وأنت تُحبُّ مَن يُحاربون شريعته؟!

كيف تلقى الله -عزّ وجل- بذلك؟!

كيف تسير في هذه الدنيا والله مُطّلعٌ على قلبك ويرى فيه حُبًّا لأعدائه؟!

(إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

ثم يخبرنا الله عز وجل؛ كيف حافظوا على علاقتهم باليهود وفي نفس الوقت يعيشون وسط المؤمنين، كيف فعلوا ذلك وماذا كان تصرفهم ؟

فقال ربّنا-سبحانه وتعالى-:

(اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) [المجادلة:16]

لأنهم كانوا يبحثون عن **العِزّة** عند اليهود، عُوقبوا بنقيض قصدهم،

(فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)..

فيه **إهانة**.!

آليات الدفاع النفاقي

(اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً)

جنّة يعني حماية، وقاية..

وهنا مصطلح أستعيره من بعض الكُتّاب الذين كتبوا عن النّفاق في القرآن،

مُصطلح صَكّه أحد الكُتّاب سمّاه: ((**آليات الدّفاع النِّفاقي**))

فالمنافقين يستخدمون آليات مُعيّنة يُدافعون بها عن أنفسهم:

منها الكذب، منها القَسَم، منها محاولة الإرضاء؛ يُرضي كلّ الأقسام

منها التّظاهر، هو يَتظاهر بالجمال، إذا تكلَّم يُعجبُك قولُه ويُعجبُك جسده، فهو يتفانى في تَجميل الظاهر.

ومنها الاستهزاء، ودائما السّخرية والاستهزاء هي هَدم بدون مُواجهة.

لذلك؛ من أخطر الأسلحة الآن لهدم الشّريعة **قضيّة الاستهزاء**

فالمؤمن لا يستطيع أن يستعمل هذا السّلاح؛ لأنه غالبًا ينتقل به لاستعمال الباطل، وفيه وقوع في الباطل. هذا السّلاح دائما يستعمله المنافقون في هَدْم الشّريعة، فهو يقول ما يقول، ثم يقول لك ما المشكلة؟! هذه مجرد دعابة أو مزحة، لماذا تحملونها محمل الجد؟!

كما قال تعالى (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) [التوبة:65]

هذه الأسلحة يمكننا أن نسَمّيها **آليات الدّفاع النّفاقي**.

من أخطر هذه الآليات: **قضيّة القَسَم**

المؤمن طبعًا يُعظِّم الله، فالمنافق يأتي للمؤمن يقسم له بالله أنه فعل كذا لأجل المصلحة، يقسم أنه فعل ذلك لمصلحة الوطن، لمصلحة الناس والمجتمع، أو لمصلحة الدين، وأنه لم يفعل ذلك لأيّ مصالح شخصية، (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ) [المجادلة:16] .

قيمة المنافق عند الأعداء في تواجده وسط المؤمنين

ما السبب أن المنافق بعد ما يكون بينه وبين اليهود علاقة، بعدها يأتي وسط المؤمنين، يريد أن يتعايش معهم ويكون بينهم ؟ لأنّ قيمته عند اليهود في تواجده وسط المؤمنين ..

لو ترك المؤمنين، وخرج من وسطهم، فلن يكون له قيمة عند اليهود والأعداء؛ لأن قيمته عندهم هي أن يتزيّ بزيّ أهل الإيمان، يتكلّم بلِسان أهل الإيمان، أن يكون من وسط أهل الإيمان.

ودائمًا، أغلب دول الإسلام تَسقط بسبب وجود المنافقين، فهو قيمته الأساسية في وجوده وسط المؤمنين، هو يريد أن يُحافظ على وجوده وسط المؤمنين.

قد يتساءل البعض قائلا: لماذا لا يظل مع اليهود مواليًا لهم وفقط؟ ألا يكفيه ذلك؟

الإجابة: لا، حينها سيتخلون عنه ويبيعونه، لأنه لم يعد له قيمة عندهم..!

همّ يدفعون له الأموال مقابل قيمته الأساسية في وجوده وسط أهل الإيمان، فلابد له أن يحافظ على وجوده بينهم..

كيف يُحافظ على وجوده بين أهل الإيمان؟

عن طريق **استعمال مُصطلحاتهم**.

فإذا رأى المنافق أهل الإيمان يُعظِّمون الله، فيقول في نفسه:

إذًا أنا سأُعظِّم الله، أو أتظاهر بذلك، فأُقسم بالله أني ما فعلت ذلك إلا ابتغاء مرضاة الله، كما قال ربّنا -سبحانه وتعالى- أيضًا عنهم في سورة النساء [أية:62] (إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا)

كنا نريد التوفيق بين الأمور، كنا نَبحث عن الإحسان، وكذلك لما ذهبنا نُوالي أعداء الله لم يكن ذلك لمصالح شخصية، ويُقسم بالله على ذلك.

من معاني الصد عن سبيل الله

ما العلاقة بين (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً)، (فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ)، ؟

(ف)صدوا، الفاء **للتعقيب**.

المفسّرين أخذوا يبحثون عن العلاقة بينهما، الإمام الطبري أبدع وقال:

[(فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ) فيهم..]

ما معنى **عَن سَبِيلِ اللَّهِ فيهم؟**

سَبِيلِ الله يعني **شريعة الله فيهم**..

بما أنهم ذهبوا ووالوا أعداء الله، ونزعوا ربقة الإسلام، وخرجوا من الإسلام واتّجهوا إلى موالاة أعداء الله، ووالوهم على الدّين؛ كانت الموالاة موالاةً على الدّين، فكفروا بذلك، فكان سبيل الله فيهم أن يُعَاملوا مُعاملة الكفّار، أن المرتدّ يُقتل، ولكن النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- لم يُطبّق فيهم شريعة الله اللازمة لهم، وهو حد الردة.

لماذا؟

لأن المنافق يَتظاهر بالإسلام، فسبَّبَ ذلك مَنع تطبيق جزء من الشريعة فيه وهو حدّ الرّدة.

كيف منع ذلك؟

عن طريق أنه يُقسِم بالله، ويَتظاهر بالدّين، ويُصلّي وسط المؤمنين، فمَنع تطبيق الشريعة فيه؛ لأنّه استخدم القَسَم.

إذًا الإمام الطبري اختار أن (فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ)، أيْ **صدّوا عن تطبيق شرع الله فيهم**.

وقيل (فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ) :

أي أن وجوده وسط المؤمنين، يُصلّي، ويُقسِم بالله، ويَتظاهر بأعمال أهل الإيمان، ويتظاهر بتعظيم الله، ثم يذهب ليتعامل مع اليهود، **فينشأ جيل مؤمن لا يجد حَرَج في التّعامُل مع اليهود**

فيقول قائل: إن فلانًا كان يصلّي مع النّبي، ويُجاهد مع النّبي، ويُقسم بالله –وهو من المنافقين لكن يتظاهر بهذه الأعمال– وله علاقة مع اليهود، فما المشكلة أن يكون لي أيضا علاقة مع اليهود؟

فيَصُدّ الأجيال الصّاعدة عن سبيل الله –سبحانه وتعالى–.

وهذه خطورة القُدوات، أن المنافق حينما يتصدَّر ويُصبح قُدوة في المجتمع، فهذا علامة انهيار المجتمع؛ لذلك فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن نقول للمنافق سيِّدًا:

"لا تقولوا للمُنافقِ: سيِّدٌ؛ فإنَّهُ إن يكُ سيِّدَكم فقد أسخطتُمْ ربَّكم عزَّ و جلَّ"[2]

لا يقل أحد للمنافق أنه سيّده؛ لأنّ الذي يذهب للمنافق ويقول له أنه سيّد فقد استجلب سخط الله عليه والعياذ بالله.

لماذا ؟

لأنك حينما تُصدِّر المنافقين يُصبحوا قُدوات، هذه خطورة مَن نُصدّر في المجتمع.. أحيانًا نُصدّر قدوات تصُدُّ عن سبيل الله.

(اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ)

– إمَّا فصدّوا عن سبيل الله فيهم.

– أو فصدّوا الناس عن سبيل الله، بمُوالاة اليهود.

– أو فصدّوا أنفسهم، فِعْل لازم غير مُتعدّي، أي: فصدوا أنفسهم عن سبيل الله.

النتيجة النهائية: (فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)

المنافق ليس له انتماء، فلا هو مُنتمٍ لوطن، ولا مُنتمٍ لقبيلة، ولا مُنتمٍ لنَسب، ولا مُنتمٍ لفِكرة، ولا مُنتمٍ لعقيدة، هو مُنتمٍ لمصلحته فقط، لو مصلحته اليوم مع اليهود، فهو معهم.. وهكذا..

لأن المنافق أصلا يعيش في نفق.

[2] [عن بريدة بن الحصيب الأسلمي:]" لا تقولوا للمنافقِ سيدًا، فإنَّهُ إن يكن سيدًا فقد أسخطتُم ربَّكم عزَّ وجلَّ" النووي (٦٧٦ هـ)، تحقيق رياض الصالحين ٥٤٨ • إسناده صحيح

وتكلمنا سابقًا عن قضيّة النفاق في درس اسمه (متى يظهر المنافقون أو متى يتكلّم المنافقون).

تكلّمنا عن النّفاق، ومعناه في اللغة، وأنه يعيش كنَفقاء اليربوع؛ هذا الحيوان يصنع لنفسه نَفَقًا وله مخرجين، يغطّي واحدة منهما ويخرج من واحدة، فإذا العدو جاء من ناحية، يخرج هومن الناحية الأخرى!

وكذلك المنافق قد صنع لنفسه نَفَقًا ما بين اليهود والمؤمنين وجعل له مخرجين:

-فإذا انتصر اليهود؛ يخرج من حفرة اليهود ويشجّع مع اليهود ويقول أنا معكم:

(أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) [النساء:141]

-وإذا انتصر المؤمنون؛ يخرج من حفرة المؤمنين ويقول: الله أكبر، ويلبس لبس أهل الإيمان وأنا معكم.

دائمًا ليس له انتماء!

حتى أنه لما أراد أن يتولى أحدًا، تولى أي أحد..

(مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ)

ولكن هو مع من معهم المصلحة والدنيا والأموال.

لذلك هو "إذا حَدَّثَ كذَبَ، وإذا اؤْتُمِنَ خانَ"[3]هو يْدافع عن مصلحته، أيّ شيء يجلب له المصلحة يفعله؛ ليس له انتماء.

لذلك قال تعالى: (لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا) [المجادلة:17]

أنت فعلت ذلك لأجل المال!!

هذا المال لن يغني عن اليهود ولا عنكم شيئًا..

(أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

فيُعاقَب بنقيض قَصده.

[3] " آيةُ المنافقِ ثلاثٌ إذا حدَّثَ كذبَ وإذا وعدَ أخلفَ وإذا اؤتمنَ خانَ". وفي رواية إذا حدَّثَ كذبَ وإذا عاهدَ غدرَ وإذا خاصمَ فجَرَ"
ابن كثير (٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن ٢٥٤/٨ • صحيح

(لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا) [المجادلة:18,17]

مما يتميز به القرآن أنه يَكسر الحواجز بين الدنيا والآخرة، فيجد الإنسان نفسه (فجأة) يعيش في الآخرة وهو ما زال في الدنيا!

لو أن المنافق يَتلقّى هذه الآيات، سيخاف، فالقرآن يفضحه في الدنيا ثم ينقِله نقلة مفاجئة إلى عالم الآخرة ..

(يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا)

الكل يُجمَع؛ المنافق، واليهودي، الجميع، عندما يجد المنافق هذا التجمع

(فَيَحْلِفُونَ لَهُ)

يحلفون لله كما كانوا يحلفون لأهل الإيمان في الدنيا!

المنافق اعتاد أنه أوّل ما يرى مؤمنًا فإنه يتكلّم بكلام أهل الإيمان؛ فيقول (السّلام عليكم) أو (والله) ويُعظّم الله، (وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا) [ال عمران:119] مع أنّه في الأصل أنّ المؤمن عندما يقابل مؤمناً لا يقول ءامنّا، لأن المؤمن لا يشك في إيمان أخيه، ولكن المنافق أوّل ما يقابل أهل الإيمان يقول أنا مؤمن!

عجبا!

فهل اتهمك أحدٌ بشيء؟!

ولكن كما جاء في المثل، يكاد المريب أن يقول خذوني!

(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) [البقرة:١٤]

فهو يؤكد لأي أحد يراه أنه معه، لماذا؟

لأنه هو أصلًا ليس له انتماء، هو مُرتاب في نفسه، فهم دائمًا "في ريبهم يترددون".

فعندما يُبعث المنافق، فإنه يظل على نفس الأخلاق التي كان عليها في الدُّنيا..

يَستصحب نفس الأخلاق؛ الكذب، والغش، والخداع

ويظن أن هذه الأخلاق الفاسدة من الكذب، ستَنفعه يوم القيّامة كما ظنّ أنّها نفعته في الدّنيا،

لماذا؟

هو ارتدّ –والعياذ بالله– في الدّنيا، وَالَى الكفّار على الدّين، ابتعد عن المؤمنين، خذل أهل الإيمان، طعن في المؤمنين، وبالرّغم من ذلك لم يُصبه شيء في دنياه، فدنياه كانت سليمة، لم يُؤذه أحد..

فيقول في نفسه: كيف استطعت أن أنجح في دنياي؟ بماذا؟

باعتياد الحلف..

لذلك أوّل ما يُبعث يوم القيّامة فإن لسانه قد اعتاد الكذب، كما قال النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– :

"وما يزالُ الرَّجلُ يكذِبُ ويتحرَّى الكذِبَ حتَّى يُكتبَ عند اللهِ كذَّابًا"[4] صحيح مسلم.

يُعلّق بعض أهل العِلم على هذا الحديث يقول:

لدرجة أنّه يُحاول أن يتكلّم بالصِدْق، فلا يستطيع، كُتب كذَّابًا، فهو لم يعد يحتاج لأن يتكلف الكذب، لم يعد قادراً على قول الصدق، قد طُبِع على الكذب، فهكذا طُبع على النِّفاق، فيُبعث يستخدم نفس آليات الدّفاع..

(فَيَحْلِفُونَ لَهُ)

أيْ لله

(كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ)

يعتقد أن هذا الحَلِف سينفعه يوم القيّامة

(أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ)

يُفضح –والعياذ بالله–يوم القيّامة، لما استتر في الدّنيا، وظنّ أنّ الجُنّة (أي: الوقاية) بالقَسم ستنفعه في الدّنيا يُفضح يوم القيّامة، والعياذ بالله..

(أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ) [المجادلة:18] .

فيقول الله –عزّ وجل–: (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ) [المجادلة:19]

فلم يَعُد له عقل، ولم يعُد له قلب، ولم يعُد له اختيار، هو سلَّم لجامه للشيطان

[4] [عن عبدالله بن مسعود:] "عليكمْ بالصِّدقِ؛ فإنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يهدي إلى الجنَّةِ، ولا يزالُ الرَّجلُ يصدُقُ ويتحرَّى الصِّدقَ حتَّى يكتبَ عندَ اللَّهِ صِدِّيقًا. وإيَّاكم والكذِبَ، فإنَّ الكذِبَ يهدي إلى الفُجورِ، وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النَّارِ، ولا يزالُ الرَّجلُ يكذِبُ ويتحرَّى الكذِبَ حتَّى يُكتبَ عندَ اللَّهِ كذَّابًا"
ابن تيمية (٧٢٨ هـ)، منهاج السنة ٢٦٨/٧ • صحيح • أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) باختلاف يسير.

"اسْتَحْوَذَ"..

من معاني الاستحواذ: الركوب والسيطرة، وأنه يسوق الشيء، فساقه الشيطان، ركبه الشيطان، وساقه إلى حيث يُريد..

والأحوذيّ: هو الماهر، الفذّ؛ الذي يستطيع أن يسُوق شيء وفيه صعوبة بالمعالجة –هذا من معاني الأحوذي في اللغة– .

فهنا استحوذ عليهم الشيطان، الشيطان نجح في السيطرة عليهم، في ركوبهم، كما أخبرنا ربّنا –سبحانه وتعالى– في سورة الإسراء[آية:62] أنَّ الشيطان قال: (لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ)

الاحتناك؛ أحد المعاني التي قيلت فيه: وَضْع اللجام في الحنك، فيقودهم الشيطان كما يقود الإنسان دابّته، والعياذ بالله.

فهنا الشيطان سيطر عليهم، فأصبحوا عبيداً للشيطان،

ما قال النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– أن هناك عبْداً للدّينار، وعبْداً للدرهم[5]

فهناك عبْدا للشيطان، كما حذّرنا ربّنا –سبحانه وتعالى– من أن نتّخذ الشياطين أولياء من دون الله، وأخبرنا كيف يعبدهم النّاس والعياذ بالله، وصاروا مقهورين لهم بإرادتهم، هذا لمن سلَّم لجامه وقيادته للشيطان.

(اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ) [المجادلة:19]

نسيَ قدرة الله، نسيَ عظمة الله، نسيَ أنَّ الله على كلّ شيء قدير، نسيَ أن الله علاّم الغيوب، نسيَ أن الله يعلم ما في السّماوات والأرض، نسيَ كلّ ذلك، فيتعامل مع الله كما كان يتعامل مع البشر.

هكذا كان يفعل في الدّنيا؛ كان لا يراقب الله..

فالسورة تَزرع المراقبة في قلب أهل الإيمان، وتُبيّن كيف يفعل المنافق في قضيّة المراقبة؛ فهو لا يُراقب الله، (وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ) [فصلت:23] ، كانوا يتعاملون مع الله –سبحانه وتعالى– على أنه لا يطّلع على سرائرهم..

[5] [عن [أبو هريرة]:]" تعِس عبدُ الدينارِ، تعِس عبدُ الدرهمِ، تعس عبدُ الخميصةِ، تعس عبدُ الخميلةِ، تعِس وانتكَس وإذا شيكَ فلا انتقشَ" ابن تيمية (٧٢٨ هـ)، مجموع الفتاوى ٣٥/٢٨ • صحيح • أخرجه البخاري (٢٨٨٧) باختلاف يسير

فتخيّل المنافق كما كان يُعامل الله في الدّنيا؛ لا يعبأ بمراقبته، لا يعبأ بنظره ورقابته له، كذلك يفعل يوم القيامة ويظنّ أنه على شيء.

(وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ * اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ) [المجادلة:18,19]

كلمة حِزب فيها تجمّع، ووجهة..

ربّنا –سبحانه وتعالى– يقول في آخر السورة، في هذا المجتمع الناشئ في مدينة النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– هذا المجتمع سيظلّ في تصفية وتمحيص وبلاء، إلى أن ينقسم المجتمع إلى قسمين لا ثالث لهما: **حِزب الشيطان، وحِزب الله**..

حزب الشيطان هم ليسوا فقط اليهود، أو أعداء الله سبحانه وتعالى، بل اليهود وكل مَن والاهم بمعنى أن قوله تعالى في السورة: (أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ) الخطاب أصالةً عن **المنافقين**، وأيضًا **اليهود**

فتخيّل المنافق الذي يتكلّم بلسان أهل الإسلام، ويلبس لباس أهل الإسلام، ويعيش وسط أهل الإسلام، سمّاهم القرآن هنا (حِزْبَ الشَّيْطَانِ)، ثم قال إنّهم خاسرون.

إذًا ليست القضيّة في الكافر الصّريح فقط، هؤلاء يُحاربون دين الإسلام علانيةً، لكن هناك أناس في الباطن يتّجهون لموالاة أعداء الله، فليحذر الإنسان أن يكون من حزب الشيطان وهو لا يشعر.
فإمّا أن تكون في **حزب الله**، أو تكون في **حزب الشيطان**.

أحيانًا، يُستعمل الإنسان لهدم الدين وهو لا يشعر..
وكما أن الشيطان يستدرج الإنسان للوقوع في المعاصي، كذلك شياطين الإنس والجن يُحاولون إيقاع المؤمنين في شركهم وفي حِبالهم، فيكون الإنسان من حِزبهم وهو لا يشعر والعياذ بالله، نسأل الله السلامة.

(اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [المجادلة:19]

استعمال الخسارة والفلاح في آخر السورة، يدلك على أن القضية **قضيّة حرب**، القضية قضيّة **صراع مُستمر، لا يتوقّف إلى يوم القيامة**.

من لحظة خلق آدم –عليه السّلام– وحينما رفض إبليس السجود لآدم –عليه السّلام–، من هذه اللحظة بدأ الصّراع بين الحقّ والباطل، وهو مُستمر إلى يوم القيامة.

والنّاس يمشون في طريقين، لا ثالث لهما:

إمّا أن يسيروا في رِكاب **حزب الله** ويسيرون معهم، أو في ركاب **حِزب الشيطان** والعياذ بالله.

وقد حسم ربنا –سبحانه وتعالى– النّتيجة وبين أن الأمر مُنتهِي فقال:

(أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)

لماذا؟

(إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ) [المجادلة:20]

لأنّهم يبحثون عن حدودٍ غير حدوده –سبحانه وتعالى–، يقفون في الحدّ المقابل لشريعته –سبحانه وتعالى–.

(أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ)

إذًا هؤلاء في الأذلّين، الذي يبتعد عن شريعة الله –عز وجل– هو في الأذلّين.

(كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [المجادلة:21]

(كَتَبَ اللَّهُ).. الأمر مُنتهِي

(لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي).. يا الله!

تخيّل عندما تكون في صف فيه معيّة الله!

(لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي)

الله أكبر..!

عندما تختار أن تكون في هذا الصّف، أنت من المفلحين حقًّا..!

حتى لو مررت ببلاء، حتى لو مرّ أهل الإسلام ببلاء، بهزائم، بخسائر، كلّ هذه طاعات في الطّريق يبذلها أهل الإيمان، يبذلون من دمائهم وأموالهم؛ لنصرة دين الله –سبحانه وتعالى–، ويأتون يوم القيامة فرحين بما قدّموا، لكن النّتيجة النهائية؛ العاقبة دائمًا للمُتّقين، حتى لو لم نرَ النّصر بأعيننا.

(كَتَبَ الله)..الأمر مُنتهِي، مفروغ منه

(لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي)

التعليل: (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [المجادلة:21]

لا يُغالَب –سبحانه وتعالى–.

أنت تختار أن تكون في صفّ القوي، هؤلاء الذين يبحثون عن **القوّة**، القوّة مع صَفّ أهل الإيمان، في حِزب الله، في معيّة الله ورسوله.

الذين يبحثون عن **العزّة**، العزة مع حِزب الله، في معيّة الله –سبحانه وتعالى– ورسوله.

(إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)..

يا مَن اتّجهتم لليهود، تبحثون عن علاقات معهم، عن التّطبيع معهم، عن فتح علاقات معهم، دائمًا تبحثون عن القوّة، عن العزّة، عن الاقتصاد، كلّ هذا مع أهل الإيمان، ولكن المنافقين لا يعلمون، ولكن المنافقين لا يشعرون، (وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ) [المنافقون:7] لأنّهم لا يفقهون الغيب، لا يتعاملون إلا بالدّنيا فقط.

لفظ الفقه لما ذُكر في سورة المنافقون وفي سورة الحشر في هذا الجزء، ذُكِر بمعنى **فقه الغيب**..

أنّهم لا يفقهون الغيب (وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ)

لا يفقهون أنَّ العزّة لله، لا يفقهون أن الخزائن بيده سبحانه وتعالى، فلذلك يتّجهون إلى اليهود

(كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ). [المجادلة:21]

ثم الختام بهذه الصورة المشرقة التي يحثُّنا ربّنا –سبحانه وتعالى– في ختام هذه السورة على أن نكون منهم:

(لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ...) [المجادلة:22]

مهما بحثت عن قومٍ تحقّق فيهم معنى الإيمان بالله حقيقةً، ومعنى الإيمان باليوم الآخر حقيقةً، إذا تحقّقت هذه المعاني في أناس، **لن تجدهم مُطلقًا يوادُّون مَن حادَّ الله!** فهناك تَضَادّ بين معنى الإيمان بالله والدّار الآخرة، ومُوالاة أعداء الله، لا يلتقيان في قلب مؤمنٍ أبدًا..

كلّما **قَوِيَ في قلب الإنسان معرفة الله**، والإيمان به، والإيمان بالدّار الآخرة؛ تجد هذا الإنسان **يبتعد فورًا وتلقائيًّا عن أعداء الله**.

لذلك، القضيّة ليست في أن تقنع إنسانًا بأن يكره أعداء الله، القضيّة على حسب الإيمان!

– حينما تجد إنسانًا **يوادّ** مَن حادّ الله ورسوله، لابُدَّ أن تعلم يقينًا أنَّ منسوب الإيمان والدّار الآخرة قليل عنده، يكاد يصل إلى الانعدام.

– وكلّما وجدت إنسانًا **يُبغض** أعداء الله، يُحبُّ أولياء الله: (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) [المائدة:54] اعلم أن منسوب الإيمان بالله والدّار الآخرة مُرتفع في قلبه؛ لأنه عبد لله –سبحانه وتعالى، ويعلم أنه سيُحاسب يوم القيامة على هذه المعاني التي في قلبه.

(لَّا تَجِدُ قَوْمًا) مهما بحثت، إذا تحقّق فيهم معنى (يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) –جاء بصيغة الاستمرار– ، لن تجدهم مُطلقًا (يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) لن تجده يختار أن يكون في الحدِّ المقابل، لن يضع حدودًا غير حدوده سبحانه، (حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) [المجادلة:22]

تخيّل إنسانًا يعيش في قبيلة، أوفي عشيرة، وكل العشيرة؛ وكل إخوانه، كل أولاده، وآبائه وأجداده، كل هؤلاء من حزب الشيطان، (يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)، وهو اختار أن يكون مع الله، حتى لو كان وحده، حتى لو ترك كل هؤلاء، اختار أن يكون مع أناس لا يعرفهم ولكنهم مؤمنين، **الرابطة بينه وبينهم رابطة الإيمان**، أقوى من أيّ رابطة، أقوى من رابطة الدّم؛ أقوى من رابطة النّسب والعشيرة والقبيلة، أقوى من رابطة الأرض والوطن، أقوى من أيّ رابطة، **رابطة الإيمان**.

لذلك،

عند التّنازع؛ تُقدَّم دائمًا رابطة الإيمان، عند التّنازع بين رابطة الدّم والقبيلة والعشيرة والوطن، تُقدّم رابطة الإيمان على كلّ شيء..

أما عند التّوافق؛ فكلّ هذه الرّوابط تزيد الإيمان صِلة وقوة.

انظر إلى الفارق بين:

* قوله تعالى: (تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ)

أي: ذهب لأشخاص ليس بينه وبينهم أي علاقة ليتولَّاهم، لماذا؟ لأن **عندهم متاع الدنيا**..

ومع ذلك، فهؤلاء: (لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا) [المجادلة:17]

* وبين قوله تعالى: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ....) [المجادلة:22]

صنفٌ ترك كلّ من يُحب، كلّ أقربائه، كلّ عشيرته، كلّ أولاده، أجداده، ترك كلّ هؤلاء، لماذا؟

لأنّهم **في حِزب الشيطان**..!

هذا حتى لو كان بمُفرده، وترك كلّ هؤلاء، ولا يُوادّهم أبدًا ولا يُحبّهم أبدًا، لأنهم اختاروا أن يُعادوا ربّه، أن يقفوا في حزب الشيطان مع أعداء الله –سبحانه وتعالى–:

(لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) [المجادلة:22]

تخيل لو كل هؤلاء اجتمعوا؟!

لكن المؤمن يتركهم ويذهب!

(أُولَئِكَ).. أيْ: هؤلاء الذين اختاروا معيّة الله، واختاروا أن يكونوا في حِزب الله مع رسول الله

(أُولَئِكَ) ماذا؟ ما هو ثوابهم؟

(أُولَئِكَ كَتَبَ) أيْ: كتب الله

(أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ)

كل مجتمع له اختيارات، له معايير مُعيّنة، ففي المجتمعات التي تبتعد عن الإيمان بالله المجتمعات التي لا ينتشر فيها الإيمان، المعايير فيها **معايير دُنيويّة بحتة**.

يُقدَّم هؤلاء ويُوالي هؤلاء على حسب الدّنيا، يُعادي هذا لأنه فقير لا يُؤْبَه له، يُوالي هذا لأنه سيّد في قومه، لأنّ معه المال، لأنّ معه المنصب.

فحينما يأتي مؤمن يخالف معايير هذا المجتمع؛

يترك قبيلته وعشيرته وأبناءه وإخوانه وأجداده، يترك كلّ هؤلاء، ويختار الإيمان، وأن يكون في صَفّ الإيمان..

ويكون الإيمان في هذه اللحظة مُستضعف، ومع ذلك يختار أن يكون مع المستضعفين، مع المؤمنين ويدخل معهم شِعْب أبي طالب ويُحاصَر، ويُبتلى ويُوضع عليه الصّخر،..

حينما يفعل ذلك يشعر بضغط من المجتمع، المجتمع كلُّه يعايْره، المجتمع كلُّه يَضغط عليه، المجتمع كلُّه يلومُه، **ومع ذلك لا يخاف في الله لومة لائم..!**

المجتمع كلّه يقول له: ماذا فعلت بنَفسك؟ .. يقولون له: أنت سفيه!

يحتاج في هذه اللحظة إلى **الثّبات**.

يحتاج في هذه اللحظة إلى تثبيت من الله –عز وجل–

فقال ربّنا: (كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ)

الله أكبر..!

ومَن يستطيع أن يمحو هذا الإيمان الذي كتبه الله؟!

هذا الإيمان الذي ثبَّته الله في قلوبهم، ووضعه الله في قلوبهم، من يستطيع أن يمحُوَه؟!

من يستطيع أن يَنزع هذا الإيمان الذي وضعه الله في قلوبهم؟!

لو أنّ الأرض كلَّها اجتمعت عليه، لن يستطيعوا أبدًا أن ينزعوا ما كتبه الله في قلبه..!

(كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ)..

الله أكبر!

أن تستشعر هذا المعنى؛

حينما تُعادي من أجل الله، وتعيش واقع الغربة في الدّين لأجل دين الله –سبحانه وتعالى–

استشعر هذه الآية: (كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم).

تحتاج إلى مَن يُؤيّدك لأنّك خسرت من كانوا يُؤيدونك، خسرت عشيرتك وقبيلتك، وإخوانك، وأجدادك؛ هؤلاء من كانوا يُؤيّدونك..

أنت الآن تحتاج إلى تأييد، لكن هذا التّأييد تأييد من السّماء؛

هذا هو **التّأييد الإلهي**.

(وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ)..

تحتاج إلى حياة، أنت قد تفقد الحياة مع هؤلاء، أين روح الحياة حينما تترك قبيلتك، وحينما تترك إخوانك وعشيرتك؟ تأتيك الرّوح من عند الله –سبحانه وتعالى–: (وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ)

قال بعض أهل العلم: أيّدهم ببرهان ونور،

وقال بعضهم: برضا،

وقال بعضهم: بالإيمان والقرآن؛ لأن القرآن سمّاه الله روح.

حال المؤمن في الدنيا والآخرة لما يعتزل أعداء الله

الشّاهد، أنه يَشعر بإيمان مُختلف، وبحياة مُختلفة، بحياة جديدة، وروح مُختلفة، حينما اعتزل أعداء الله، واختار أهل الإيمان، حتى لو ليس بينه وبينهم نسب، وابتعد عن هؤلاء حتى لو بينه وبينهم نسب، (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ)، هذا في الدّنيا.

أما في الآخرة:

(وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)

(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)..

جاءت أولًا

(وَرَضُوا عَنْهُ)

رضي الله عنهم؛ لأنّهم تركوا كلّ هؤلاء النّاس لأجله.

يا ربّ، أنا تركت كلّ هؤلاء لأجلك.. يا ربّ أنا ابتعدت عن هؤلاء النّاس لأجلك.

يا ربّ أنا لا أتحرّك كما يتحرّك النّاس، عموم النّاس يبحثون عن دنياهم، يُوالون الأقوى، يُوالون الأغنى، أمّا أنا أوالي مَن تُحب يا رب.

أسألك حبّك، وحبّ عملٍ صالحٍ يُقرّبني إلى حبّك، وأسألك حبّ من يُحبّك

يا ربّ أنا أبحث عن هؤلاء؛ عن هؤلاء المؤمنين حتى لو كانوا ضعفاء، حتى لو كانوا فقراء.

قال تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) [الكهف]

(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)

شعروا بالرضا، حتى لو كانوا بمُفردهم، حتى لو خسروا كلّ النّاس، وكلّ الأموال، وكلّ الأبناء،

لكن شعروا بالرضا لهذا الإيمان الذي كتبه الله في قلوبهم، ولهذه الروح التي وجدوها في نفوسهم من عند الله –سبحانه وتعالى– (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ) [المجادلة:22]

إذًا هما قسمان لا ثالث لهما، اختر في أيّ قِسمٍ شئت، مع أيّ حِزبٍ ستحارب.

قد تجد من يقول لك أنا لا أعيش قضية الصراع فلماذا تقول لي أني في حزب الشيطان؟

لأن الغفلة من الشيطان..

(فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ) [النساء:76]

ربّنا –سبحانه وتعالى– يقول إنّ الشيطان له أولياء يدافعون عنه، فمعنى أنك تترك صف أهل الإيمان، أهل حِزب الله،

فأنت تنتقل مباشرةً وبصورة تلقائية –وأنت لا تشعر– إلى حِزب الشيطان،

الغفلة من الشيطان، عدم نُصرة دين الله –عزّ وجل– من الشيطان.

فاحذر أن تقترب من هذا الصّف، من هذا الحِزب!

احذر أن تكون في حِزب الشيطان!

وكن مع حِزب الله، فهؤلاء هم المفلحون حقًّا.

(أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

(أَلَا)، أداة التنبيه، (إِنَّ) للتأكيد

(أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ) هم للحصر فقط

(أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

تنبيهٌ، وتأكيدٌ، وحصرٌ أنَّ حِزب الله هم المفلحون، لا غيرهم أبدًا يُفلح.

الخاتمة

نسأل الله –عزّ وجل– أن نكون من حِزب الله الذين يُوالون أولياء الله، ويُعادون أعداء الله –عزّ وجل– يفعلون ذلك؛ طلبًا لمرضاة الله –سبحانه وتعالى–، وأن يستعملنا لنُصرة دينه.

أقول قَوْلي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبِحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وجزاكم الله خيرًا.